حجب المعلومة في الحرب الأمريكية على العراق : دراسة كيفية لجدلية العلاقة بين السلطة ووسائل الإعلام في المجتمع الأمريكي

د . محمد بن سعود البشر
قسم الإعلام ـ كلية الدعوة والإعلام
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث :

تبحث هذه الدراسة في إشكالية حجب المعلومة في الحرب الأمريكية على العراق ، من خلال التتبع الكيفي لطبيعة العلاقة بين الإعلام والسلطة في هذه القضية الرئيسة التي تُعد من أهم وأكبر تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة . ولذلك فإن أهداف هذه الدراسة التي تسعى إليها هي: التعرف على طبيعة العلاقة بين الإعلام والسلطة في المجتمع الأمريكي في ضوء مستجدات القضية العراقية . تحليل مفهوم " حجب المعلومة " وبيان تطبيقاته على الحالة موضوع الدراسة . تتبع ظاهرة الحجب الحكومي للمعلومة، وبيان ماهيتها، وعرض تطبيقاتها على الظاهرة موضوع الدراسة. بيان شواهد الحجب المعلوماتي الذي مارسته وسائل الإعلام الأمريكية في الحرب على العراق . وقد تتبعت الدراسة دلائل نقض الفرضية على مستويات ثلاثة تتعلق بتعامل الحكومة ووسائل الإعلام الأمريكية مع القضية العراقية . المستوى الأول: التوافق بين الحكومة ووسائل الإعلام الأمريكية في مفاهيم الحجب الإعلامي ، والمستوى الثاني: فصل في الحديث عن حجب المعلومة عن المستوى الحكومي ، المستوى الثالث: أبان شواهد الحجب المعلوماتي عن المستوى الإعلامي . كما كشفت الدراسة عن جدلة استقلالية الإعلام الإمريكي عن السلطة، وحريته في أن يكون رقيباً على أداء الحكومة، وانتهت إلى أن هذا الجدل يحسمه الواقع الميداني أكثر مما يكتب عنه في الدراسات العلمية المتخصصة، وأن هذا الجدل لا يعدو أن يكون تراكماً علمياً في موضوع جدلية العلاقة بين الحكومة ووسائل الإعلام، وليس له وجود علمي أو مهني .

مقدمة :

في أزمنة الحرب و الصراعات تزداد أهمية وسائل الإعلام بشكل كبير ، إذ تولي الدول المتقدمة اهتماماً أكثر بالإعلام أثناء الحرب ، ليس لنقل الأخبار وتغطية الأحداث فقط ، و إنما لتكون وسائل الإعلام متغيراً رئيساً في تبرير الحرب نفسها . فالتغطيات الإعلامية لا ينحصر تأثيرها على جمهور الوسيلة الإعلامية ، لكنها تمتد لتشمل أولئك المشتركين في الصراع ، إذ تعمل وسائل الإعلام على تغيير مفاهيم المعارضين و المؤيدين والمحايدين . وهناك أمثلة عديدة كان لوسائل الإعلام أثر في بلورة قرارات الحرب والتدخلات العسكرية . ويمكن القول بأن وجهة النظر العالمية للتدخلات العسكرية الأمريكية المختلفة قد تأثرت – إلى حد كبير – بالصور التي بثّتها الولايات المتحدة . و نذكر هنا على سبيل المثال التدخل العسكري الأمريكي في بنما (١٩٨٩م) ، و العمليات العسكرية في شمال العراق في أعقاب حرب الخليج (١٩٩١م) ، و التدخل في هايتي (١٩٩٤م) ، و قصف حلف شمال الأطلسي ليوغسلافيا (١٩٩٩م). إن التدخل العسكري الأمريكي في الصومال في التسعينيات من القرن الماضي يعزى بصورة واسعة إلى الصور التلفزيونية التي بُثّت والتي عكست معاناة الصوماليين ، كما أن سحب أمريكا لجنودها من الصومال قد تم بعد أن بثت قنوات التلفزة العالمية صور الجنود الأمريكيين المقتولين وقد مُثل بهم في شوارع مقديشو . وكان لصور تفجير مقر مشاة البحرية الأمريكية في بيروت عام ١٩٨٣م التي بثتها وسائل الإعلام العالمية آنذاك أثراً كبيراً أدّى إلى خروج القوات الأمريكية من لبنان.[١]

---

(١) النيرب ، باسل يوسف . قتل الشهود : الاغتيالات الأمريكية للصورة الإعلامية العربية – غيناء للنشر – الرياض – الطبعة الأولى ٢٠٠٤م ص ٣٢- ٣٣ .

وفي كل حالة أزمة أو صراع تكون الولايات المتحدة طرفاً رئيساً فيها، فإنها تكون مسنودة بدعم إعلامي يبرر مواقفها من الصراع أو الأزمة ، وما ذكر سلفاً هو من قبيل المثال السياسي لا الحصر . وقد كانت حالة العراق حدثاً استثنائياً في تاريخ الإعلام الأمريكي ، إذ وظفت المؤسسات الإعلامية الأمريكية كل ما تملكه من تقانة اتصالية عصرية ، وكوادر بشرية عالية التأهيل والخبرة في دعم الزحف الأمريكي تجاه المنطقة ، ممثلاً في إسقاط النظام العراقي ، ثم احتلال أراضيه بالكامل ، ثم الشروع في إعادة البنية السياسية والإدارية فيه . ولم يكن للمشروع الأمريكي في العراق أن يتحقق على أرض الواقع لو لم تكن له أذرعة إعلامية تلاعبت بالعقول ، ووضعت إستراتيجية بالغة الخطورة اتضح أثرها على الرأي العام داخل الولايات المتحدة ، كما نجحت في صياغة رؤية إعلامية عالمية بمنظور أمريكي صرف . إذ واكبت الآلة الإعلامية الأمريكية مراحل غزو العراق واحتلاله منذ أن كانت رغبة جامحة نظر لها المحافظون في الإدارة الأمريكية حتى أصبحت حقيقة فرضت نفسها – بشروطها ورؤيتها – على واقع السياسة الدولية.

كان ذلك كله يحدث وفق رؤية إعلامية مبنية على تزييف الواقع ، وتقديمه بطرائق تغيب فيها الحقائق ، وتزوق فيها الأمور والقضايا حتى أحدثت أثراً تراكمياً قبله الرأي العام الأمريكي و الرأي العام العالمي.

المعادلة السياسية – الإعلامية الأمريكية في حرب العراق أفرزت تساؤلات كثيرة حول حرية الرأي والتعبير ، ومدى استقلالية الإعلام عن السلطة ، وحق الإعلامي في نشر الحقيقة ، وحرية الإعلام في أن يكون رقيباً على أداء الحكومة . هذه تساؤلات تثار على الصعيد المحلي داخل الولايات المتحدة ، وأما خارجها ، فإن الإشكالية المهنية تدور حول مدى حيادية الإعلام الأمريكي ، حتى وإن كان

تابعاً أو خاضعاً لسلطة الحكومة ، ومدى موضوعية المضامين التي ينقلها هذا الإعلام للرأي العالمي أو المحلي .

بيد أن المتتبع لفلسفة الإعلام الأمريكي لا تخطؤه حقيقة ظاهرة ، وهي أن هذا الإعلام كان مصدر الإسناد الأول للمشروع الأمريكي في العراق ، من خلال تطبيق مفهوم " حجب المعلومة " بأساليب شتى ، وطرق عدة ، ووسائل متنوعة ، ستأتي شواهد لاحقاً في هذه الدراسة.

هذه الدراسة تبحث في إشكالية حجب المعلومة في الحرب الأمريكية على العراق ، من خلال التتبع الكيفي لطبيعة العلاقة بين الإعلام والسلطة في هذه القضية الرئيسة التي تُعد من أهم وأكبر تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة .

ولذلك فإن أهداف هذه الدراسة هي :

١- التعرف على طبيعة العلاقة بين الإعلام والسلطة في المجتمع الأمريكي في ضوء مستجدات القضية العراقية .

٢- تحليل مفهوم " حجب المعلومة " وبيان تطبيقاته على الحالة موضوع الدراسة .

٣- تتبع ظاهرة الحجب الحكومي للمعلومة، وبيان ماهيتها، وعرض تطبيقاتها على الظاهرة موضوع الدراسة.

٤- بيان شواهد الحجب المعلوماتي الذي مارسته وسائل الإعلام الأمريكية في حرب الولايات المتحدة على العراق .

٥- وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة. تناول المبحث الأول التأسيس النظري و المنهجي لموضوع الدراسة و علاقته بنظرية

حارس البوابة الإعلامية. و ناقش المبحث الثاني جدلية العلاقة بين الحكومة ووسائل الإعلام. وتحدث المبحث الثالث عن الحجب المعلوماتي في الحرب الأمريكية على العراق ، وتضمن ثلاثة محاور: الأول مفهوم الحجب المعلوماتي، والثاني حجب المعلومة على المستوى الحكومي ، والثالث حجب المعلومة على المستوى الإعلامي، ثم انتهت الدراسة بخاتمة أجملت النتيجة العامة لموضوعها.

* * *

المبحث الأول: التأسيس النظري و المنهجي لموضوع الدراسة :

التأسيس النظري لموضوع الدراسة :

تؤكّد الباحثة الأمريكية دوريس جريبر Doris Graper أن نظرية حارس البوابة الإعلامية Gatekeeper هي إحدى أهم النظريات التي تبحث في العلاقة بين الحكومة و وسائل الإعلام، إذ إن تقرير ما يُنشر و ما لا ينشر في الوسيلة الإعلامية يخضع إلى سلطة الأقلية المؤثرة في الوسيلة الإعلامية، التي تخضع بدورها إلى تأثير جهات معينة في المجتمع أهمها المؤسسات الحكومية ذات الطابع السياسي البحت.(١) و تذكر جريبر أن نفوذ المؤسسة السياسية على ما ينشر للرأي العام يظهر بوضوح أكثر في حالات الأزمات، مثل الحروب، و الاغتيالات السياسية، و الحوادث ذات العلاقة بالمؤثرات و الأسباب السياسية مثل اختطاف الطائرات.(٢) في مثل هذه الحالات فإن المعلومات و الأخبار لا تكون خاضعة للنشر وفق معايير حارس البوابة الإعلامية فقط، و إنما تتأثر برؤية المؤسسة السياسية أيضاً.(٣)

هذا الرأي العلمي الذي تستند إليه الباحثة جريبر في كثير من دراساتها عن العلاقة بين الإعلام و السياسية، هو ما يفسّر الظهور المبكّر لنظرية حارس البوابة الإعلامية في التراكم العلمي المتخصص في نظريات التأثير الإعلامي. فقد أُجريت في الخمسينيات الميلادية من القرن المنصرم سلسلة من الدراسات التي ركّزت على

---

(١) Garber, Doris.(1993). Mass Media and American Politics. Congressional Quarterly, Inc.,P . X iii

(٢)Ibid

(٣)Ibid

الجوانب الأساسية لعملية حراسة البوابة Gate keeping ، دون أن تستخدم بالضرورة هذا المصطلح كما أصبح شائعاً بعد ذلك في بحوث نظريات الإعلام. تلك الدراسات المبكرة كانت تستخدم تحليلاً وظيفياً لأساليب التحكم في غرفة الأخبار News Desk ، و الإدراك المتناقض لأثر العاملين في الوسيلة الإعلامية و مصادر أخبارهم، و القيم التي تؤثّر في اختيار مادة إخبارية بعينها لنشرها [1] . تلك الدراسات المبكّرة كانت تُشير إلى أن الرسالة الإعلامية تمر بمراحل عديدة و هي تنتقل من المصدر إلى المتلقي. و في كل مرحلة يوجد شخص أو مجموعة أشخاص يقررون ما الذي يُنشر و يُقدّم للجمهور و ما الذي يُستبعد. هؤلاء الأشخاص يُسمّون عند الباحثين المتخصصين في الدراسات الإعلامية حرّاس البوابة Gate Keepers، باعتبار أن كل مرحلة تُمثّل بوابة تمر خلالها الرسالة، و تخضع لحذف أو تعديل أو إضافة.[2]

والفكرة الأساس التي تُبرّر علاقة نظرية حارس البوابة الإعلامية بموضوع هذه الدراسة هي أن اختيار ما يُنشر أو لا يُنشر للجمهور يعتمد على أقلية نافذة في المؤسسة الإعلامية التي تملك قرار النشر من عدمه، و أن هناك مصادر أخرى غير العاملين في المؤسسة الإعلامية تمارس تأثيراً على المادة الإعلامية، من أهمها الحكومات ورجال السياسة، و هي ما يشير إليها فيشمان Fishman بقوله: إن ما يعرف للجمهور من خلال الوسيلة الإعلامية يخضع لمصادر أخرى تتحكم في

---

(١) حسين مكاوي و ليلى السيد. الاتصال و نظرياته المعاصرة. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٧٦.

(٢) حسن مكي وبركات عبدالعزيز. المدخل إلى علم الاتصال. ذات السلاسل، الكويت، ط(١) ، ١٩٩٥، ص ١٠٠.

حصول المؤسسة الإعلامية على المادة الإعلامية أو معالجتها قبل الحصول عليها، و أبرز هذه المصادر الحكومات و الأشخاص أو المكاتب التابعة للحكومة.[١]

هذه الفكرة الأساس التي وردت في التراكم النظري لنظرية حارس البوابة تُمثّل البناء العلمي الذي يُفسّر العلاقة بين الحكومة و وسائل الإعلام في المجتمع الأمريكي، و بخاصة في قضايا السياسة الخارجية كما هو الحال في الاحتلال الأمريكي للعراق موضوع هذه الدراسة.

التأسيس المنهجي لموضوع الدراسة :

تحاول هذه الدراسة التعرّف على طبيعة العلاقة بين الحكومة و وسائل الإعلام في المجتمع الأمريكي في حالة الاحتلال الأمريكي للعراق الذي بدأ في شهر أبريل من عام ٢٠٠٣م. و هي دراسة تعتمد على نظرية حارس البوابة الإعلامية في بنائها المعرفي لفهم هذه العلاقة، و على تتبع الشواهد التطبيقية لهذه العلاقة على مسرح الأحداث السياسية والإعلامية في العراق ذات العلاقة بالحكومة أو بوسائل الإعلام الأمريكية.

بناء على هذه المشكلة البحثية فقد اعتمد الباحث المنهج الكيفي لهذه الدراسة، و هو المنهج الذي يهدف إلى تحليل الظاهرة تحليلاً كيفياً يصل من خلاله إلى وصف شامل لها[٢] مدعماً بالشواهد العلمية الكيفية.[٣]

---

(١)Fishman, M. (1982). News and Non-events: Making the Visible Invisible. In: J.S. Etteman and D.C. Whitney. Individuals in Mass Media Organizations. Beverly Hills, Sage Publications, P. 219

(٢) Strauss, Anselm and Corbin, Juliet. (1990). Basics of Qualitative Research. Newbury Park, CA:Sage, P. 116.

(٣) السيد أحمد مصطفى عمر. البحث العلمي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط ١ ، ١٩٩٤، ص ٥٤ .

و اصطلح الباحثون على مفهوم (دراسة الحالة)[1] لوصف ظاهرة محددة في البحوث الكيفية عندما يلجأ الباحث إلى تطبيقاتها على موضوع واحد أو عدة موضوعات بهدف تصنيف المعلومات المتعلقة بالحالة وتحليلها ليصل إلى وصف عام لها.

* * *

(١) الحيزان، محمد بن عبدالعزيز. البحوث الإعلامية، بدون ناشر، ط ٢ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، ص ١١٧.

المبحث الثاني: جدلية العلاقة بين الحكومة ووسائل الإعلام :

يناقش هذا المبحث من الدراسة العلاقة بين الحكومة ووسائل الإعلام في المجتمع الأمريكي ، بوصفه بيئة الدراسة . وقد كانت هذه العلاقة مادة مثيرة للجدل والنقاش في الجامعات والمؤسسات الإعلامية من جهة والمؤسستين السياسية والعسكرية من جهة أخرى.

تعلل الباحثة دوريس جريبر Doris Graber أهمية هذه العلاقة بقولها إن وسائل الإعلام الأمريكية باتت متغيراً رئيساً في صياغة الرأي العام الأمريكي تجاه القضايا الداخلية والخارجية ، وبخاصة بعد ظهور الكيبل التلفزيوني وتعدد القنوات التلفزيونية ، وانتشار ظاهرة الإعلام الإلكتروني ، وظهور الوسائل الإعلامية ذات الملكية المختلطة التي تجمع بين الإعلام المرئي والمقروء . ومع تطور الوسيلة الإعلامية أصبحت العلاقة بين الحكومة والإعلام موضوع جدل ونقاش بين الطرفين لا يزال صداه يتردد في أروقة الجامعات ، والمراكز البحثية ، والمؤسسات الإعلامية ، والمكاتب الحكومية.[١]

وتشير الدراسات المتخصصة في العلاقة بين الحكومة ووسائل الإعلام في المجتمع الأمريكي[٢] إلى أن هذه العلاقة تتغير بحسب طبيعة القضايا المرتبطة بها ، والتوقيت الزماني لهذه القضايا . ففي الشأن الداخلي تحاول وسائل الإعلام الأمريكية أن تمارس أقصى مراحل حرية الرأي والتعبير التي ضمنها الدستور الأمريكي بحيث يقل تأثير الحكومة عليها ، وأما في الشأن الخارجي فإن هذه العلاقة تبدو متأثرة إلى حد كبير بسيطرة الحكومة. وتتأكد الهيمنة الحكومية على وسائل

(١)Garber, Doris. Ibid, P. 13

(٢)Ibid, PP. 19-21

الإعلام ومنافذ المعلومة في أوقات الأزمات التي تكون الحكومة الأمريكية طرفاً رئيساً فيها. ومن هنا ندرك السببية في تزايد الجدل ، منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م و إعلان أمريكا ما أسمته "الحرب على الإرهاب" ، حول دور وسائل الإعلام الأمريكية في هذه الحرب ، و ما إن كانت هذه الوسائل قد عمدت إلى إخفاء المعلومات المتعلقة بالحرب وحجب أهدافها . لقد حظيت العلاقة الثلاثية الأبعاد بين المؤسسات السياسية ووسائل الإعلام و الرأي العام بنقاش واسع في الدوائر الأكاديمية والبحثية المختلفة ، وشملت هذه النقاشات العلاقة بين هذه الأقطاب الثلاثة في ظروف الحرب . و يبدو أن مثل هذا النوع من الجدل سيظل مستمراً بصورة أقوى ، لاسيما في الظروف الراهنة التي تمر بها العلاقات الدولية .

وتحاول كل من القيادات السياسية و العسكرية من جهة و المؤسسات الإعلامية من جهة أخرى تبرير مواقفها و تصرفاتها و حتى علاقاتها في أوقات الحروب و الصراعات. فالقيادات السياسية والعسكرية ترى أن من حقها في هذه الظروف الاحتفاظ بأكبر قدر من السرية على خططها وعملياتها و الحيلولة دون وصول وسائل الإعلام إلى ملفات الحكومة في مثل هذه الظروف. و وسائل الإعلام من جهتها ترى أن من حقها تغطية الأحداث و إبراز كافة الجوانب المتعلقة بسير العمليات العسكرية ، و ما يحدث على الأرض ، و تأثيرات ذلك على المدنيين و البيئة المحيطة. و بين الموقفين تحدث العديد من حالات الشد و الجذب و الاتهامات المتبادلة . لقد بات القادة السياسيون و العسكريون على حد سواء يعقدون أهمية كبيرة على وسائل الإعلام. و مع هذا فقد شابت العلاقة بين هؤلاء القادة و وسائل الإعلام الكثير من الشكوك و الاتهامات المتبادلة . فبنهاية الحرب الباردة ظهر العديد من النقاشات داخل المؤسسات العسكرية حول أهمية أن تكون

العلاقة إيجابية مع وسائل الإعلام . و بالرغم من أن هذا يعدّ توجهاً إيجابياً – على الأقل من الناحية النظرية – إلا أن العديد من العسكريين استمروا في النظر إلى وسائل الإعلام بوصفها "عدوهم الأسوأ " ، أو على أحسن الفروض "أفضل الشرور".[١] و قد ذهب بيري سميث Perry Smith للقول أن هناك انعداماً عميقاً للثقة في الصحافة داخل المؤسسة العسكرية الأمريكية . و أضاف سميث – الذي عمل محللاً عسكرياً في شبكة سي إن إن CNN خلال حرب تحرير الكويت - إن انعدام الثقة هذا مبني على تجربة تتلخص في أن الصحافة تحاول أن تجد لها طرقاً لكي تمطر المؤسسة العسكرية بوابل من الاتهامات. ويمضي للقول بأن هذا الشعور ربما بدأ يتضاءل إلى حد ما بعد التغطيات التلفزيونية لحرب تحرير الكويت.[٢]

لقد كانت حرب الخليج الثانية من أكثر الحروب في العصر الحديث التي حظيت بتغطية إعلامية ضخمة و جرت فيها محاولات جادة و مدروسة للسيطرة على وسائل الإعلام . فقد كان هناك ما يقارب ٣٠٠٠ صحفي في المنطقة، أكثر من ٥٠٠ منهم مرافقين لمختلف الوحدات العسكرية الأمريكية و البريطانية المشاركة في الحرب. و كانت الفلسفة من مرافقة الصحفيين للقوات العسكرية أمراً مقصوداً و مخططاً له بالتنسيق بين وزارة الدفاع الأمريكية و المؤسسات الإعلامية و أكثر تنظيماً مقارنة بما حدث في حرب الفوكلاند بين بريطانيا و الأرجنتين عام ١٩٨٢م . وتندرج سياسة إلحاق الإعلاميين بالوحدات العسكرية أثناء العمليات الحربية تحت إستراتيجية السيطرة على و سائل الإعلام و منع أي محاولة من الصحفيين لنشر أو

---

(١)Smith, Perry M.(1991) How CNN Fought The War: A View From The Inside. Carol Publishing Group, P. 92

(٢)Ibid, P. 92

إذاعة أخبار أو تقارير ترى القيادات العسكرية أو السياسية أنها تؤثر سلباً على سير الخطط العسكرية أو تثير مشاكل لدى الرأي العام الداخلي .

و هذا يدل على أن العسكريين قد أصبحوا – أكثر من أي وقت مضى- يتوجسون خيفة من التغطيات الإعلامية و يرون فيها خطراً على أدائهم في الميدان . لذلك كله أصبحت القيادات العسكرية تبذل كل ما في وسعها من أجل وضع العراقيل أمام الصحفيين و الحيلولة بينهم و بين الوصول إلى المعلومات . و قد وصف مايكل ماسينج Michael Massing معاناة الصحفيين في المركز الإعلامي "الخالي من النوافذ" و الذي أقامه التحالف في قاعدة السيلية في قطر أثناء الحرب على العراق بكلمات توضح أن العسكريين يضيقون ذرعاً بالصحفيين، و عليه فإنهم يضعون ما يستطيعون من عراقيل للحيلولة بينهم و بين أداء مهامهم. يقول مايكل ماسينج " إن المركز الإعلامي في قاعدة السيلية بقطر شُيد بطريقة فيها أكبر قدر من الإزعاج و الإرهاق للصحفيين . فلكي تصل إلى هناك من وسط المدينة عليك أن تقطع رحلة تستغرق نصف الساعة في صحراء جرداء قاحلة . و عند البوابة عليك أن تسلّم أجهزتك لكي يتم تفتيشها من خلال جهاز التفتيش كي ٩ K-9 ، و يتم تفتيش حقائبك و جسمك عن طريق الأشعة . بعدها تنتظر تحت وهج الشمس لمرافق عسكري - الذي بعد أن يقوم بالتأكد من أوراقك الثبوتية - يأخذك إلى حافلة الصحفيين . و عندما تمتلئ الحافلة تتحرك بك لتقطع ٢٠٠ ياردة حيث يقع المركز الإعلامي. و تنزلك الحافلة في ساحة مغطاة بالخرسانة و محاطة بسور يبلغ ارتفاعه ٧ أقدام ينتهي بأسلاك شائكة . و إذا وقفت في مكان عالٍ و نظرت إلى الخارج فسترى مبنيين متشابهين يبدوان مثل مستودعين ، – إنهما مكاتب الجنرال تومي فرانكس و القيادة الوسطى الأمريكية . و غير مسموح

للصحفيين بدخول هذين المبنيين ، إذ إن تحركاتهم تقتصر فقط على المركز الإعلامي الخالي من النوافذ و الذي يبلغ طوله ٦٠ قدماً، والذي فيه إنارة باهرة و تكييف عالٍ."[١] و دخول الصحفيين إلى هذا المركز يتم من خلال تصريح عسكري و يمكن سحب هذا التصريح في أي وقت .

و إذ يشكو الصحفيون من القيود التي يفرضها عليهم القادة العسكريون و نقص المعلومات التي يزودون بها ، و غيرها من المصاعب التي تواجههم في تغطياتهم للحرب ، فإن هناك جدلاً عاماً من الناحية الأخرى حول الصور التي تبثها وسائل الإعلام للإصابات وأسرى الحرب . و تعدّ هذه الصور من الأمور المثيرة للاتهامات بين القادة السياسيين والعسكريين من جهة و المؤسسات الإعلامية من جهة أخرى . ففي اجتماع جرى في يوم ٢٧ فبراير ٢٠٠٣م نبّه المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية بريان ويتمان Bryan Whitman رؤساء المكاتب الإعلامية من أن نشر الإصابات وسط جنود التحالف يعدّ من أكثر الأمور حساسية من منظور الحكومة.[٢]

و في هذا السياق نذكر أن الحكومتين الأمريكية و البريطانية هاجمت المؤسسات الصحفية ، وبخاصة قناة الجزيرة الفضائية القطرية لعرضها صوراً لاثنين من الجنود البريطانيين المتوفيين و صوراً لاثنين آخرين وقعا كأسرى حرب . و قد عبّر رئيس الوزراء البريطاني توني بلير عن إدانته عرض هذه الصور و عبر عن الفزع من عرض مثلها.[٣]

---

(١)Tumber, Howard & Palmer, Jerry(2004) Media At War: The Iraq Crisis. Sage Publications Ltd. P. 66

(٢) Ibid, P. 69

(٣)Smith, Jeffery A.(1999). War & Press Freedom: The Problem of Prerogative Power. Oxford University Press. Page 220

و في أكثر من مناسبة واجه المراسلون الذين تجرؤوا على تحدي السلطات السياسية أو العسكرية أو حاولوا التمرد على التفكير و النهج التقليدي في الأخبار و التقارير التي يرسلونها الكثير من التوبيخ و المضايقات ، ليس من السلطات الرسمية فحسب بل و من المؤسسات التي يعملون فيها . فالمراسلون الذين فضحوا التدليس الأمريكي في السنوات الأولى من حرب فيتنام ، وجدوا أنفسهم في مواقف حرجة. والأخبار و التقارير التي كانوا يرسلونها كانت تخضع للتعديل و الحذف أو الإلغاء بالكامل. و وصل الأمر إلى قيام بعض المؤسسات الصحفية بخصم مبالغ مالية من بعض المراسلين الذين لا يلتزمون بمعايير المؤسسة الإعلامية ، و هو ما حدث لمراسل صحيفة نيويورك تايمز أثناء حرب فيتنام ديفيد هالبريستان David Halberstan الذي خصمت الصحيفة من مصروفه الأسبوعي.(١)

و لا يخفى أن الهدف من التدخلات في مهام الصحفيين هو محاولة ممارسة أكبر قدر من الضغوط على الصحفيين الذين كانوا يقومون بتغطية العمليات العسكرية ضد العراق ، ومن ثم التأثير على أدائهم ، ولذلك فإن التوتر في العلاقة بين القيادة السياسية ووسائل الإعلام الذي تجسد في الخلاف بين الحكومة البريطانية وتلفزيون هيئة بي بي سي حول ملف العراق لأسلحة الدمار الشامل يوضح بشكل كبير هدف الحكومة البريطانية من التعتيم الإعلامي على حقيقة هذه القضية وبخاصة بعد أن كشف تقرير لهذه القناة الإعلامية أن الحكومة البريطانية قد ضخمت من هذا الملف لتبرير حربها على العراق ، و تابع الرأي العام الضغوط التي مورست على البي بي سي للكشف عن مصدر معلوماتها و تداعيات ذلك التي أدت إلى انتحار خبير الأسلحة البريطانية جون كيلي.(٢)

---

(١) Ibid, P. 215

(٢)Tumber, Howard & Palmer, Jerry. Ibid, PP.139-157

مثل هذه الضغوط التي تمارسها الحكومة – ممثلة في المؤسستين السياسية والعسكرية – هو إدراك من القيادات السياسية والعسكرية بأهمية وسائل الإعلام وتأثيرها في صياغة الرأي العام وتوجيهه. ولذلك شهدت العلاقة بين الحكومة ووسائل الإعلام فصولاً من التوتر، وبخاصة وقت الحروب والأزمات. ونذكر في هذا السياق ما قامت به القوات الأمريكية من قصف لإذاعة صوت الشريعة التابعة لحركة طالبان في ٨ أكتوبر ٢٠٠١م . و ما إن عاودت الإذاعة البث في ٢٦ أكتوبر حتى قصفت بعد ساعات فقط لتصمت صمتاً أبدياً.[١] ونذكر أيضاً أنه في عام ١٩٩٩م و في أثناء الحرب على يوغسلافيا ضربت قوات التحالف بالقنابل مبنى راديو و تلفزيون صربيا .

و يمكن أن يمثل الضغط لعدم إيصال صوت الآخر سياسةً للتعتيم الإعلامي و هو ما حدث أثناء حرب تحرير الكويت ، إذ في ١٦ يناير ١٩٩١م تلقى توم جونسون Tom Johnson رئيس شبكة سي إن إن CNN مكالمة هاتفية من المتحدث الصحفي للبيت الأبيض مارلين فيتزويتر يخبره فيها أن الرئيس بوش الأب يطلب أن تسحب القناة كل طاقمها الإعلامي فوراً من بغداد.[٢] وحتى بعد أن بقي بيتر آرنيت Peter Arnet يراسل القناة من بغداد أثارت تقاريره الكثير من ردود الفعل المتباينة و الاتهامات الموجهة له شخصياً و للقناة أيضاً . و لم تكن هذه الاتهامات و الضغوط من عامة المشاهدين فحسب، بل حتى من شخصيات أمريكية كبيرة مثل السناتور ألان سيمسون Alan Simpson الذي أبدى امتعاضاً من تقارير آرنت واصفاً إياه"بالمتعاطف" . وقد ذكرت شبكة سي إن إن وقتها أنها

---

(١)Taylor, Philip M. We Know Where You Are: Psychological Operations Media During Enduring Freedom, in: Daya Kishan Thussu and Des Freedman (eds.) War and the Media. Sage Publications, Ltd.P 107

(٢)Ibid, P. 9. Smith, Perry M.

تلقت الكثير من الشكاوي و الاتهامات بسبب تقارير آرنت ، حتى إن بعض الجهات سحبت الإعلانات التي كانت تبثها في المحطة.[١] و الشيء نفسه حدث لمراسلة CNN كريستيان أمانابور Christiane Amanpour إذ أثارت تغطياتها للحرب على العراق استياء الكثيرين حتى من زملائها في وسائل الإعلام . فقد وصفت إرينا بريجانتي Irena Briganti المتحدثة باسم قناة فوكس نيوز Fox News أمانابور بـ"المتحدث باسم القاعدة".[٢]

وفي أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر حاولت إدارة الرئيس بوش منع الإرهابيين من الوصول إلى الجمهور وذلك بحرمانهم من وسائل الإعلام . فقد طلبت الإدارة من شبكات التلفزة في الولايات المتحدة عدم بث تسجيلات الفيديو التي يطلقها أسامة بن لادن خوفاً من أن تكون تحمل رسائل مشفرة لخلايا إرهابية نائمة في الولايات المتحدة.[٣]

وفي أحيان كثيرة تتزامن سياسة عدم إيصال صوت الآخر هذه مع اهتمام أمريكي بإيصال الصوت الإعلامي الحكومي لهذا الآخر من خلال الإسهام في توفير وسائل البث و الاتصال المختلفة . ففي أثناء الحرب على أفغانستان قامت القوات الأمريكية بتوزيع ٤٠,٠٠٠ راديو على الأفغانيين . ووزعت القوات المتحالفة المزيد من أجهزة الراديو في كل أرض تتم السيطرة عليها داخل أفغانستان.[٤] و قد كانت أجهزة الراديو جزءاً من الحرب النفسية التي تشنُّها القوات الأمريكية على الشعب الأفغاني، ولذلك صممت تلك الأجهزة بحيث لا تحتاج إلى

---

(١)Ibid, PP. 30-40

(٢)Allan, Stuart& Zelizer, Barbie (2004), Reporting War: Journalism in Wartime- Publisher: Routledge, New York – P. 8

(٣)Taylor, Philip M. Ibid, P. 101

(٤)Smith, Jeffery A Ibid, . P 215

البطاريات أو الكهرباء من أجل التشغيل ، وبحيث لا تلتقط إلا بثّ القوات الأمريكية . بالإضافة إلى ذلك فإن الولايات المتحدة مولت بسخاء تأسيس المحطات الإذاعية و التلفزيونية الموجهة وتشغيلها ، ومنها إذاعة (سوا) و (قناة الحرة) ومجلة (هاي) ، و تبث مواد موجهة باللغات العربية و الفارسية والبشتونية .

إن روبرت اليجانت Robert Elegant ، وهو مراسل صحفي سابق ، يلخص كل ما سبق بقوله : " لأول مره في التاريخ الحديث تتقرر نتائج حرب ليس على ساحة المعركة ولكن على صفحات الصحف وشاشات التلفزيون."[1] كتب اليجانت ذلك وهو يتحدث عن حرب فيتنام قبل أكثر من ٣٠ عاماً ، فيكف هو الواقع اليوم في حرب الولايات المتحدة على العراق التي تتزامن مع الطفرة الهائلة في تقنيات الإعلام والمعلومات ؟

إن الجدلية القائمة بين المؤسسة السياسية والمؤسسة الإعلامية في الولايات المتحدة حول حق الصحفي في " الوصول إلى ملفات الحكومة " لا يتجاوز مجال الدراسة العلمية إلى الواقع الميداني ، وقد ينجح الإعلاميون في كسب نتائج الجدل على المستوى المحلي ، أما على صعيد السياسة الخارجية فإن هذه القضية العلمية تبقى رهينة قاعات الدرس في الجامعات ، أو المنتديات العلمية للمتخصصين في السياسية والإعلام أو في "الاتصال السياسي." ولذلك فإن المعالجة الإعلامية لقضايا السياسية الخارجية تبقى تحت هيمنة الساسة وصناع القرار بذرائع شتى أهمها " حماية الأمن القومي" ، أو " المصالح الإستراتيجية " القومية ، وهي الذرائع التي ينبغي أن يحترمها الإعلاميون طوعاً أو كرها .

---

(١) Ibid, P. 198

المبحث الثالث :الحجب المعلوماتي في الحرب الأمريكية على العراق :

يناقش هذا المبحث ثلاثة محاور رئيسة: المحور الأول يستعرض مفهوم الحجب المعلوماتي في كتابات المتخصصين مدعّماً بالأمثلة ذات العلاقة بموضوع المبحث. و الثاني يبين شواهد حجب المعلومة على المستوى الحكومي في الولايات المتحدة. أما المحور الثالث فيناقش حجب المعلومة على المستوى الإعلامي. وكلا المحورين الأخيرين يستصحبان شواهد نظرية و واقعية في سياق التحليل الكيفي للمعلومة التي تم تصنيفها وفقاً لطبيعة الحديث عن كل محور.

أولاً : مفهوم الحجب المعلوماتي :

مترادفات كثيرة استخدمها الباحثون المتخصصون في سياق حديثهم عن فلسفة الحجب المعلوماتي عن الرأي العام ، منها : التضليل، السرية ، وإخفاء الحقيقة. جميع هذه المترادفات تفضي إلى معنى واحد مشترك وهو : تعمد عدم تمكين المتلقي ، سواء أكان فرداً أو جماعة أو مجتمعاً ، من معرفة الحقيقة أو الوصول إليها ، أو إيصالها بطريقة لا تعبر عن المعنى الكامل لها .

وعلى الرغم من أن جدلية " حرية الرأي " و " الوصول إلى ملفات الحكومة " كانت مثار جدل بين الساسة والإعلاميين ، إلا أن الواقع يقول إن هذا الجدل ينتهي إلى اتفاق بين الطرفين يفرضه الساسة على الإعلاميين ، وخاصة في أوقات الحروب والأزمات.

في الولايات المتحدة – مثلاً – هناك قانون " حرية المعلومات " الذي صدر عام ١٩٦٦م ، وشكلت على إثره جمعية محرري الصحف الأمريكية لجنة أسمتها " لجنة حرية المعلومات " Freedom of Information Committee ، هدفها الوقوف ضد السرية التي تنتهجها الحكومة الأمريكية في حجب المعلومة عن الرأي

العام ، كان تشكيل هذه اللجنة مبنياً على تقرير أعده هارلود كروس Harlod Cross أكد فيه أن الحكومة الأمريكية تمارس سياسة حجب المعلومة عن الصحافة وبالتالي عن الرأي العام . ومع ذلك كله لا تزال الإدارات الأمريكية المتعاقبة تمارس فلسفة الحجب المعلوماتي لمنع الصحافة – وبالتالي الرأي العام – من معرفة الحقيقة.(١) فقد أنشأ الرئيس إيزنهاور مكتب المعلومات الإستراتيجية Office Of Strategic Information ، أُنيطت به مسؤولية العمل مع الجهات ذات العلاقة للتأكد من عدم تسريب المعلومات الإستراتيجية غير المصرح بها للدول الأجنبية . وفي عام ١٩٥٥م وجه وزير الدفاع الأمريكي حينها تشارلز إيه ويلسون Charles E. Wilson بأن أي معلومات تُنشر يجب أن تتوافق مع المتطلبات الأمنية وأن تتضمن إسهاماً بناءً لجهود وزارة الدفاع.(٢) وذكر توماس بلانتون Thomas Blanton في مقال له تحت عنوان " حق العالم في أن يعرف " The World's Right To Know ، أنه خلال العقد المنصرم (يتحدث عن الفترة من عام ١٩٩٢ وحتى عام ٢٠٠٢م) كانت هناك ٢٦ دولة في العام قد سنت تشريعات منحت بموجبها مواطنيها حرية الوصول إلى معلومات حكومية ، ثم استدرك بلانتون وقال إنه في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر وبروز اتجاهات عديدة هنا وهناك للسيطرة على المعلومة كسلاح فعال في الحرب على الإرهاب ظهرت اتجاهات تشير إلى أن الحكومات ستتجه إلى " قفل بوابات الوصول للمعلومة . " (٣)

---

(١) FOI History
http://www.ruf.rice.edu/~mgpowell/history.html

(٢)Ibid

(٣)Thomas Blanton. (The World's Right To Know)
http://www.freedominfo.org/survey/rtk.htm

ولقد اتسمت سياسية الولايات المتحدة بالسرية والغموض وحجب المعلومة حتى قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وفي هذا يقول توماس لانتون إن فلسفة الحجب الإعلامي كانت قد بدأت قبل هجمات الحادي عشر من سبتمبر ، إذ تمثلت في رفض إدارة الرئيس بوش دعوات الكونجرس تزويده بأسماء مستشاري القطاع الخاص الذين يعملون في قطاع سياسات الطاقة ، وكذلك جهود هذه الإدارة فيما يتعلق بعدم السماح بنشر سجلات حقبة الرئيس ريجان تحت ذريعة قانون السجلات الرئاسية . لكن أحداث الحادي عشر من سبتمبر جعلت من حجب المعلومات والتكتم عليها وإحاطتها بالسرية نوعاً من العادة المتبعة .

فلسفة الحجب الإعلامي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من السياسة العامة لإدارة الرئيس جورج بوش الابن متخذة من حربها على الإرهاب ذريعةً لتبرير ما تقوم به من إجراءات على كافة المستويات ، وبخاصة تلك الإجراءات المتعلقة بحجب المعلومة والتضليل السياسي والإعلامي .

وقد أثارت الإجراءات التي اتخذها الرئيس بوش ، وخاصة الأمر التنفيذي الذي أصدره في نوفمبر ٢٠٠١م الذي سمح للإدارة والرؤساء السابقين بحجب الوثائق التي كانت بحوزتهم عن الرأي العام ، الكثير من ردود الأفعال . وكانت إدارة بوش قد ذكرت حينها أن هذا الحجب يهدف إلى حماية خصوصية الرؤساء السابقين والجهات التي تعاملوا معها عندما كانوا في البيت الأبيض . لكن الشكوك ساورت الكثيرين من أن هذا الإجراء قد وُضع لحماية العديد من مسؤولي البيت الأبيض الذين عملوا في إدارات الرؤساء ريجان وبوش الأب ، ومنهم على وجه التحديد وزير الخارجية السابق كولن باول ونائب الرئيس ديك تشيني وكبير

موظفي البيت الأبيض أندرو كارد ومدير الميزانية الأسبق ميتش دانيلز Mitch Daniels.[١]

هذا التضليل وإخفاء الحقيقة هما اللذان جعلا لاري كليمان Larry Klayman ، رئيس إحدى المجموعات المحافظة التي تُعنى بالمراقبة القضائية Judicial Watch يقول : " إن هذه الإدارة هي الأكثر اتساماً بالسرية التي رأيناها في حياتنا وهي تتعامل بسرية أكثر من إدارة نيكسون . إنهم لا يؤمنون أن الشعب الأمريكي أو الكونجرس لديهم أي حق في الحصول على المعلومة ".[٢]

وتعد الإجراءات المتخذة من إدارة الرئيس بوش الابن في مسألة الحجب الإعلامي وإخفاء المعلومة من أكثر الجهود في هذا المجال منذ الحرب العالمية الثانية . والسبب الرئيس الذي جعل هذه الإجراءات لا تثير إلا القليل من الاهتمام والملاحظة هو تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر والحرب على الإرهاب . وعلى الرغم من أن بطء تدفق المعلومات - والذي يعدُ نوعاً من محاولة حجب المعلومة – كان من سمات السياسة الداخلية والخارجية لإدارة الرئيس بوش قبل الهجمات الإرهابية ، إلا أن هذه الهجمات منحت إدارة الرئيس تبريرات واسعة لحجب المعلومة وإخفائها بحجة أن سهولة توفر مثل هذه المعلومات – كما يقول - " من شأنه أن يكون لصالح أعدائنا."[٣]

---

(١) Ibid

(٢)Stephen Pizzo, Hiding The Truth? President Bush's Need-to-Know Democracy
http://www.ratical.org/ratville/CAH/secrecySP.html

(٣)Ibid

إن مما يزيد من خطورة مفهوم الحجب الإعلامي التي تقوم بها الحكومة، أو وسائل الإعلام، أو كلاهما معاً هو حقيقة أن الرأي العام العالمي أصبح معتمداً على وسائل الإعلام في الحصول على المعلومة ، وبخاصة في أوقات الحروب والأزمات. وتشير الإحصاءات إلى الزيادة الكبيرة في الاعتماد على هذه الوسائل . ففي الولايات المتحدة نفسها هناك تسعة من عشرة أمريكيين بالغين يقرأون صحيفة يومية بانتظام ، وأجهزة الراديو متوفرة في ٩٨٪ من البيوت الأمريكية ، وأجهزة التلفاز في ٩٣٪ منها . وهناك ما بين ٦٠٪ إلى ٧٠٪ من الأمريكيين البالغين يقرأون مجلة واحدة على الأقل بطريقة منتظمة . وتشير الدراسات الحديثة إلى أن الوقت الذي يمضيه المواطن الأمريكي مع وسائل الإعلام يقدر بحوالي ٣٢٦٥ ساعة سنوياً وهو ما يعادل ٩ ساعات يومياً ، ٧٠٪ منها مخصص لمشاهدة القنوات التلفزيونية.[١] وعلينا - في ضوء مثل هذه الأرقام - أن ندرك حجم الأثر الذي يمكن أن تحدثه وسائل الإعلام الأمريكية على الرأي العام الأمريكي إذا كان ما تقدمه من معلومات تتعلق بحرب الولايات الأمريكية على العراق يمر عبر القنوات الحكومية التي تقوم بإعادة صياغتها وتمريرها للرأي العام بما يتناقض مع حقيقتها في الواقع.

لقد كانت الحرب الأمريكية على العراق ميدانياً تطبيقياً مارست فيه الحكومة ووسائل الإعلامي فلسفة الحجب المعلوماتي ، وما يأتي من حديث هو شواهد لهذه الفلسفة على المستوى الحكومي ، والإعلامي ، تجاه الرأي العام داخل الولايات المتحدة وخارجها .

---

(١) كريّم، بدر أحمد. عصر العاجزين عن الكلام: رؤى إعلامية. الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م - مطبعة سفير - الرياض ، ص. ١٧٩ - ١٨٢

ثانياً : حجب المعلومة على المستوى الحكومي :

لم تكن طريقة القيادات السياسية و العسكرية الأمريكية فيما يتعلق بإخفاء المعلومة عن وسائل الإعلام و الجمهور أمراً حديثاً، بل إن محاولتها الاستفادة من وسائل الإعلام لتمرير سياساتها قد حدث قبل عقود. فقد استخدمت هذه الفئة من السياسيين وسائل الإعلام لنشر و إذاعة أخبار و تقارير مغلوطة أثناء الحرب الباردة و حرب الخليج الثانية (حرب تحرير الكويت)، بل يمكننا القول بأن القيادات السياسية و العسكرية الأمريكية كانت تطبّق مفهوم حجب و إخفاء المعلومة قبل تلك الحرب. و هناك العديد من الأمثلة التي تقف شاهداً على ذلك . تشير عدد من المصادر إلى أن سياسة حجب المعلومة و إخفائها كانت سياسة متبعة من الحكومة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية و ذلك من خلال تقييد حرية الصحفيين ، وهو ما أشار إليه بيتر آرنت المراسل الصحفي الأمريكي المعروف، عندما قارن بين القيود التي تفرضها القوات الأمريكية في العراق على الصحفيين بتلك التي كانت تحدث في الحرب العالمية الثانية . ففي الحرب العالمية الثانية كانت الحكومة الأمريكية تشعر أنها تخوض حرباً من أجل أمنها و بقائها و لذا حجبت المعلومة عن الأجهزة الإعلامية .

وخلال إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق إيزنهاور Eisenhower تحطمت طائرة تجسس أمريكية من نوع يو ٢ U-2 داخل الأراضي السوفيتية ، كان ذلك تحديداً في عام ١٩٦٠م . وفي تبرير لما حدث ذكرت وكالة الاستخبارات الأمريكية CIA نقلاً عن وكالة الطيران و الفضاء (ناسا) أن طائرة لمراقبة الطقس قد فقدت . ولما كانت وزارة الخارجية تفترض أن الطيار سيقوم باتباع التعليمات في هذا الشأن و تفجير الطائرة و قتل نفسه إذا لزم الأمر حتى لا يقع في الأسر ، فقد أكدت

للصحفيين أنه لم تكن هناك محاولة متعمدة لخرق المجال الجوي السوفيتي . كانت هذه هي الرواية الأمريكية لحادثة طائرة التجسس ، أما الاتحاد السوفيتي فقد أعلن أنه ألقى القبض على الطيار فرانسيس جاري باورز Francis Gary Powers و اعترف أنه كان في مهمة تجسس.(١) سياسة عدم الموضوعية كانت طريقة انتهجتها الإدارات الأمريكية المختلفة لحجب الحقيقة عن الرأي العام في حالات كثيرة . إن التراكم المعرفي في هذا المجال يؤكد أن هناك من كان يروّج لحجب المعلومة من المسؤولين في جميع الحكومات الأمريكية عبر تاريخها ، لكنها أصبحت مألوفة ومعلنة في عهد إدارة الرئيس كيندي . يؤكد ذلك آرثر سيلفيستر Arthur Sylvestor مساعد وزير الدفاع للشؤون العامة في عهد الرئيس كنيدي وهو يتحدث عن "التلاعب بالأخبار" خلال أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ ، إذ قال: إن الحكومة لديها " الحق في أن تكذب" في أي وقت ترى أنها في موقف خطير، خاصة إذا ما كانت الحرب النووية ممكنة الحدوث.(٢) و هناك العشرات من الأمثلة لحجب المعلومة والخداع والكذب التي اتبعتها القيادات السياسية والعسكرية الأمريكية خلال حرب فيتنام، وفي حقبة الحرب الباردة، وخلال التدخلات العسكرية للولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية، وغيرها من المناطق في العالم خلال العقدين الماضيين. وليس المجال هنا هو الخوض في تفاصيلها و إنما التأكيد على حدوثها لننتقل إلى حجب المعلومة و إخفائها في الحرب الأمريكية ضد العراق .

لقد عمدت الجهات الرسمية الأمريكية ممثلة في القيادات السياسية و العسكرية إلى اتباع طريقتين لحجب المعلومة أثناء الحرب على العراق.

---

(١)War And Press Freedom. Ibid P.207

(٢)Kennedy, William V.(1993) The Military and The Media: Why the Press Cannot Be Trusted to Cover a War.Praeger Publishers, Westport, CT. P.131

الأولى من خلال السيطرة على وسائل الإعلام عبر برنامج إلحاق المراسلين الصحفيين embedding reporters بالوحدات العسكرية المختلفة .

والثانية هي عرض أخبار الحرب والتصريحات الصحفية المتعلقة بها عن طريق القادة العسكريين في قطر وواشنطن. ولعل تطبيق سياسة المرافقين الصحفيين للوحدات العسكرية هذه قد طمأنت القيادات العسكرية إلى عدم تسريب أي معلومات عن الحرب للمؤسسات الإعلامية ما عدا تلك المعلومات التي تزود بها هذه القيادات المراسلين المرافقين. و قد أدّى برنامج إلحاق الإعلاميين بالوحدات العسكرية إلى تحقيق هدفين رئيسيين للقادة العسكريين من أجل إخفاء المعلومة عن وسائل الإعلام وبالتالي تضليل الرأي العام . أولهما، أن مرافقة الوحدات العسكرية تحد من تحركات المراسل الصحفي في ساحة المعركة و بذا يكون محصوراً فقط في الوحدة المرافق لها . و الثاني - و قد اتضح بصورة جلية أثناء عملية غزو العراق - أن معظم وسائل الإعلام الأمريكية – و خاصة تلك التي انضمت مؤسساتها إلى برنامج إلحاق الصحفيين بالوحدات العسكرية - وجدت نفسها رهينة للقيادات العسكرية و السياسية و أصبحت تأتمر بأمرها و تلتزم بالأخبار و التقارير التي تزودها بها هذه الجهات .

لكن رغم هذا نجد أن بعض الإعلاميين لم يكونوا راضين عن هذه المعاملة التي يجدونها من القيادات العسكرية ، و ضاقوا ذرعاً بالحيلولة دون حصولهم على المعلومة . و قد عبّر مراسل مجلة نيويورك New York Magazine مايكل وولف Michael Wolff عن هذا الاستياء في وجه الجنرال فينسيت بروكس Vincent Brooks ، كبير المتحدثين الرسميين في القاعدة المركزية الأمريكية بمعسكر السيلية في قطر عندما كان يدلي بالإيجاز الصحفي اليومي في مقر القيادة

المركزية . قال وولف: "لماذا نبقى هنا؟ ما الفائدة التي تعود علينا مما نتعلمه هنا في هذا المركز الإعلامي الذي كلّف ملايين الدولارات؟"(١)

وقد كان موضوع أسلحة الدمار الشامل و امتلاك النظام العراقي لهذه الأسلحة من أكثر الأمور التي مارست فيها القيادات السياسية و العسكرية الأمريكية إستراتيجيات منظمة لإخفاء نواياها الحقيقية من الحرب و ما لحقها من احتلال . فقد أدلى العديد من القادة السياسيين الأمريكيين و على رأسهم الرئيس بوش بتصريحات تؤكد امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل ، وكانت تصريحات مفزعة للرأي العام الأمريكي والعالمي عن امتلاك النظام العراقي لمثل هذه الأسلحة وأنه باستطاعة هذا النظام استخدام هذه الأسلحة في هجمات يشنها خلال مدة زمنية وجيزة . لكن اتضح بعد أن احتلت الولايات المتحدة العراق أن ذلك الزعم لم يكن إلا مسوغات كاذبة قصد منها إخفاء الأهداف الحقيقية لإدارة الرئيس بوش و المحافظين الجدد في البيت الأبيض من هذه الحرب. بعد ذلك بدأت القيادات السياسية و العسكرية الأمريكية في إعلان أن هدفها من الحرب كان تغيير النظام Regime change و هو ما لم يكن من الأمور المطروحة عند الإعداد للحرب والتحركات التي سبقتها من حشد للرأي العام المحلي و العالمي و محاولة الحصول على دعم و تفويض من الأمم المتحدة لشن الحرب . هذا النهج المتعلق بحجب المعلومة و إخفائها هو النهج نفسه الذي اتبعته القيادات العسكرية و السياسية الأمريكية في قضية تعذيب السجناء العراقيين في سجن أبو غريب في بغداد والتداعيات التي أعقبت هذه القضية .

---

(١)Payne, Kenneth.(2005). The Media as an Instrument of War Parameters. Volume: 35. Issue: 1. Page Number: 81

لقد مارست القيادات السياسية و العسكرية الأمريكية الكثير من الترويج لحجب المعلومة بشأن الحرب على العراق ومن ثم احتلاله . و حتى عندما اعترف الرئيس بوش بأن هناك ثلاثين ألفاً من المدنيين العراقيين لقوا حتفهم منذ بداية الحرب على العراق و أثناء العنف المستمر حاول الجنرال تومي فرانكس ، رئيس القيادة المركزية الأمريكية الالتفاف حول هذه الحقيقة بقوله : " ليست مهمتنا أن نحصي الأموات" . أما العميد مارك كيميت Mark Kimmitt ، المتحدث باسم الجيش الأمريكي في العراق و نائب رئيس القيادة المركزية للتخطيط و العمليات في أبريل ٢٠٠٤م ، فقد أجاب عندما سئل عن الصور التي عرضها التلفزيون العراقي للمدنيين الذين قتلتهم القوات الأمريكية في الفلوجة بقوله : "غيّر القناة .. غيّر القناة إلى قناة إخبارية نزيهة و مسؤولة و ذات شرعية"[١] ، في إشارة واضحة إلى تكذيب وسائل الإعلام غير الأمريكية في بثها لهذه الصور .

استمرت القيادات السياسية و العسكرية الأمريكية في اتباع سياسة الكذب و التضليل و إخفاء المعلومة عن مقتل آلاف المدنيين العراقيين الذين قضوا في العمليات العسكرية الأمريكية رغم نشر أخبار و إحصائيات عن أعداد القتلى . فقد تحدث وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامفسيلد لموظفيه في مارس ٢٠٠٥م ، أي بعد عامين من غزو العراق ، عن السرعة غير المسبوقة و الدقة و المرونة التي استطاعت القوات الأمريكية بها وبدعم من قوات التحالف ، أن تسيطر على بغداد ، و أن هذه القوات سارت قدماً وبسرعة أكثر من أي قوات في التاريخ العسكري . و قال إن هذه القوات قامت بذلك وهي تحاول أن تتجنب إحداث إصابات كبيرة في صفوف المدنيين.[٢]

---

(١)Jackson, Derrick, Z. Iraqi Civilian Death Mount- And Count, Boston Globe, 19 December, 2005.

(٢)Ibid

كان رامسفيلد يقول ذلك في مارس ٢٠٠٥م ، بينما كانت وكالة أسوشيتدبرس Associated Press قد قدّرت في يونيو ٢٠٠٣م أن حوالي ٣,٢٤٠ مدنياً عراقياً قتلوا من جراء العمليات المتعلقة باحتلال العراق منهم ١,٩٠٠ في بغداد وحدها . و في أكتوبر ٢٠٠٣م قدّر مشروع " بدائل الدفاع " Project on Defense Alternatives ، الذي يتخذ من كمبريدج مقراً له ، أن هناك ٤,٣٠٠ مدني عراقي قتلوا في الشهر الأول من الحرب و احتلال العراق .

أما استخدام القوات الأمريكية للأسلحة الكيمائية التي تزامنت مع العمليات العسكرية في العراق فقد كان لها نصيب من التضليل الإعلامي والحجب المعلوماتي ، وبخاصة ما يتعلق باستخدام القوات الأمريكية لمادة الفسفور الأبيض ضد المدنيين في الفلوجة . ولقد ظل هذا الموضوع طي الكتمان ، إلى أن قامت شبكة التلفزيون الإيطالية RAI في نوفمبر ٢٠٠٥م ببث فيلم وثائقي عرض صوراً وشهادات تثبت أن القوات الأمريكية استخدمت أسلحة كيميائية في العراق ، بما في ذلك استخدام هذه الأسلحة في مناطق المدنيين . تضمن الفيلم الذي حمل اسم : "الفلوجة : المذبحة المحجوبة " Fallujah : The Hidden Massacre ، أدلة و براهين عديدة تعزز من مصداقية ، مضمون الفيلم الذي بثته شبكة التلفزيون الإيطالية، وهو ما أكده جيف إنجليهارتJeff Englehart ، و هو جندي أمريكي سابق شارك في الهجوم على الفلوجة ، حيث اعترف باستخدام القوات الأمريكية للفسفور الأبيض . و قال جيف :" أعرف أن الفسفور الأبيض قد استخدم و هو بالتأكيد و دون أدنى شك سلاح كيميائي" [1] كما عرض الفيلم صوراً التقطها أطباء عراقيون دخلوا الفلوجة بعد المعارك للمساعدة في دفن الموتى .

---

(١)Weapons In Iraq. Kelley, Rick. Film Documents American Use of Chemical
www.countercurrents.org/iraq-kelly151105.htm

ومضى الفيلم يصف الوضع :"كانت هناك جثث لمدنيين ، لنساء مازلن يمسكن بالمسبحة و بدت على أجسادهن حروقاً غريبة ، بعضهن محترقات حتى العظم ، وبعضهن تدلت جلودهن من لحمهن . ليس هناك أي دلائل على وجود إصابات بالرصاص .. لقد اختفت معالم الوجوه كما هو الحال في أجزاء الجسم الأخرى . وهناك أيضاً بعض الحيوانات فارقت الحياة دون وجود أي جروح ظاهرة عليها "[1] .

هذا العمل العسكري الذي يتنافى مع القوانين و الأعراف الدولية و حقوق الإنسان ، و التي زعمت أمريكا أنها جاءت للعراق لإرسائها ، ظل طي الكتمان و ظلت الحكومة الأمريكية تنفيه مدة من الزمن ، و تصف الأخبار و التقارير التي تشير إليه بأنها تعبّر عن "أفكار وهمية" . و بعد أن عرض الفيلم و أذيعت مادته على نطاق واسع لم يكن من بد أمام مسؤولي وزارة الدفاع الأمريكية من الاعتراف باستخدام الجيش الأمريكي قذائف الفسفور الأبيض الكيميائية خلال الهجوم على الفلوجة في نوفمبر ٢٠٠٤م ، و قد جاء هذا الاعتراف مذيّلاً بإنكار أن تكون هذه المواد محرّمة دولياً و أنها قد استخدمت ضد المدنيين. و برر متحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية استخدام هذه الأسلحة بقوله : إن هذه الأسلحة "لا يحرمها أي قانون دولي موقّع من جانب الولايات المتحدة الأمريكية" و في سياق التبرير و التضليل نقلت وكالة أسوشيتدبرس بتاريخ ١٦نوفمبر ٢٠٠٥م عن الملازم أول باري فينابل Barry Venable أحد المتحدثين باسم البنتاجون قوله "إن الجيش كان يستخدم الفسفور الأبيض لتحديد الأهداف و كشف المواقع ، وتم استخدام هذا السلاح في بعض الأحيان بالفلوجة كسلاح ضد الأعداء المقاتلين ".[2]

---

(١)Ibid

(٢) داوود ، نسيبة – البنتاجون يبرر استخدام الفسفور بالفلوجة – إسلام أون لاين – ٢٠٠٥/١١/١٦

و هكذا تندرج مثل هذه التبريرات في سياق التضليل المتعمد و حجب المعلومة المستمر من قبل القيادات السياسية و العسكرية الأمريكية . فقد استهدفت حفلات الزفاف في العراق في أكثر من مرة بالقنابل الأمريكية ، وقتل مدنيون ، و في كل مرة كانت القيادات الأمريكية تقول إنها كانت ترد على إطلاق نار ضدها من مثل هذه الأماكن . و حتى عندما تقصف القوات الأمريكية مناطق المدنيين و تقتل النساء و الأطفال العزّل ، تحاول القيادات العسكرية أن تبرر ذلك و تكذب في تصريحاتها . فقد نشرت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية تقريراً خبرياً مفادة أن طائرات اف ١٤ F-14 الحربية الأمريكية قصفت منزلاً في مدينة بيجي التي تبعد ١٥٠ كيلومتراً إلى الشمال من العاصمة العراقية بغداد يوم ٢٠٠٦/١/٢م . و في هذا القصف قتلت النيران الأمريكية تسعة أشخاص من أسرة واحدة .وعندما نشرت وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية تفاصيل الواقعة قال مسؤولون عسكريون أمريكيون رداً على الانتقادات التي وجهت لهم لاستهدافهم قتل المدنيين إن الهجمات جاءت بعد أن رصدت طائرة إنذار بدون طيار ثلاثة رجال يقومون بزرع قنبلة. و أضافوا :"تم التوصل إلى أن هؤلاء الأشخاص يشكلون تهديداً للمدنيين العراقيين و قوات التحالف "، و هذا نوع من التلاعب بالحقائق والتضليل المعلوماتي ، بشهادة العقيد سفيان مصطفى من شرطة بيجي ، الذي قال إن أفراد الأسرة الذين قتلوا جرّاء القصف لم يكونوا ضمن المتمردين. و أكد أنه : " لايوجد إرهابيين في هذا المنزل ".[١]

ومن أهم مجالات حجب المعلومة الذي مارسته الحكومة الأمريكية في حربها على العراق واحتلاله وما تبع ذلك من تداعيات سياسية وعسكرية، قصفُ القوات الأمريكية لمكاتب المؤسسات الإعلامية الأجنبية العاملة في العراق ،

(١)US Strike on Home Kills 9 in Family, Iraqi Official Say. New York Times, 4/1/2006

واستهداف مراسلي الصحف والقنوات التلفزيونية غير الأمريكية ، وبخاصة وسائل الإعلام التي تحظى بمقروئية كبيرة أو مشاهدة واسعة في العالم العربي . لقد أدركت الحكومة الأمريكية في حربها للعراق واحتلاله أن القوة العسكرية وحدها ليست كافية لتحقيق " الاحتلال " الكامل للأرض والشعب ، لأنها إن نجحت في تفكيك النظم السياسية وإسقاطها ، ونشر الجنود والمجنزرات على التراب والأرض فإن الشعب يبقى عصياً على الخضوع والاستسلام ، من أجل ذلك يلجأ المحتل إلى استخدام سلطة الإعلام لترويض العقول وتذويب الانتماء لتحقيق الهيمنة الشاملة على التراب والشعب ، وهي سياسة تستلزم ضخاً للمعلومات الكاذبة من جهة ، وحجباً للحقائق والمعلومات الصادقة من جهة أخرى . ولقد كان من أهم وسائل الحجب المعلوماتي للحكومة الأمريكية قصف المنشأة الإعلامية أو قتل مراسليها العاملين في الميدان. وقد عبّرت القيادة العسكرية الأمريكية عن هذا العمل بقولها إنها قد حذرت ممثلي وسائل الإعلام من أن بغداد ستكون مكاناً خطراً لهم . وذهبت وزارة الدفاع الأمريكية إلى أبعد من هذا التحذير عندما أوضح مسؤولوهم أنهم سيتحملون مسؤولية الصحفيين الملتحقين مع الجيوش فقط ، وهو ما يحمل تهديداً صريحاً لكل من لا يلتحق من الصحفيين بالقوات الأمريكية وفقاً لشروط محددة تخدم الأهداف العسكرية الأمريكية في العراق . نتائج هذه التحذير أفرزت قتلاً متعمداً لعشرات الصحفيين العرب والأجانب العاملين في بغداد وغيرها من المدن العراقية ، وقصفاً متعمداً لمكاتب القنوات العربية ، مثل (قنوات الجزيرة ، والعربية ، وأبو ظبي ، وغيرها)

والخلاصة : أن الحكومة الأمريكية قد مارست أنواعاً كثيرة من حجب المعلومة في حربها على العراق في محاولة للتأثير على الرأي العام داخل الولايات

المتحدة وخارجها ، ومن ذلك هيمنتها على مصادر المعلومة المختلفة ، العسكرية منها على وجه الخصوص ، وتضييق الخناق على المؤسسات الإعلامية إما بمنعها من الوصول إلى الحقيقة ، أو تمكينها من الحصول عليها بالطريقة التي تراها المؤسستان السياسية والعسكرية ، أو من خلال قصف المؤسسات الإعلامية غير الأمريكية العاملة في العراق ، واستهداف مراسليها بالقتل أو الترحيل حتى لا تتسرب الحقيقة إلا في أضيق نطاق ، وهو ما يخدم الإستراتيجية الأمريكية في العراق نفسه ، وفي العالم العربي بشكل عام .

ثالثاً : حجب المعلومة على المستوى الإعلامي :

يرى الكاتب الأمريكي نورمان فينكلستين Norman Finkelstein أنه على مستوى السياسة الخارجية للولايات المتحدة أو في الأزمات التي تكون الحكومة الأمريكية طرفاً فيها فإن الإعلام الأمريكي يكون موالياً لأية حكومة تكون في سدة الحكم . هذا الإعلام يتحدث عن الحقيقة كما هو معبّر عنها من جانب الحكومة الأمريكية ، و الحكومة - من جانبها - تعوّدت على إعلام يقول ما تريد أن تقوله.[1] ففي خلال أزمة الصواريخ مع كوبا في الستينيات الميلادية من القرن المنصرم قام مراسل قناة أيه بي سي ABC التلفزيونية في وزارة الخارجية الأمريكية جون سكالي John Scali بالعمل سراً كمفاوض بين الجانبين الأمريكي والكوبي . و فيما بعد عيّنه الرئيس ريتشارد نيكسون مستشاره الخاص للشؤون الخارجية و الاتصال و من ثم مندوباً لأمريكا لدى الأمم المتحدة و هو المنصب الذي ظل فيه حتى عاد للعمل في المحطة عام ١٩٧٥م .[2]

---

(١) مقابلة مع نورمان فينكلستين في قناة الجزيرة – ٢٠٠٥/١١/٣٠م .

(٢)War and Press Freedom. Ibid P.211

و قد عمدت الإدارات الأمريكية المتعاقبة على تفعيل مثل هذا التعاون حتى تبقى قضية حجب المعلومة و إخفائها أمراً مشتركاً بينها و بين وسائل الإعلام ، ولذلك كان فريق المحررين و المراسلين الصحفيين الذين يعملون مع الحكومة يخفون معلومات ذات سرية بالغة . و قد فطن الرئيس دويت إيزنهاور Dwight Eisenhower إلى ذلك و أيقن أن الثقة المشتركة ستؤدي إلى عدم تسريب المعلومات التي ترغب الإدارة في حجبها ، و لذا قام بتزويد المراسلين بالخطط التفصيلية للمعارك خلال الحرب العالمية الثانية حتى " يكون لديهم شعور بنفس المسؤولية التي أتحمّلها أنا و مساعديّ".[١] و قد التزم الصحفيون بالعهد الذي بينهم و الإدارة و تكتموا على المعلومات المتعلقة بالقنبلة الذرية الأمريكية . و في هذا الصدد أتيحت للمراسل العلمي لصحيفة نيويورك تايمز وقتها وليام لورانس William Laurence التعرف على كافة التفاصيل السرية لمشروع القنبلة الذرية و شاهد الاختبار الأول لهذه القنبلة الذي جرى في صحراء المكسيك و بعدها إلقائها على مدينة ناجازاكي في اليابان . و رغم أن لورانس كان يعلم أنه لن يتمكن من البوح بهذه المعلومات إلا بعد انتهاء الحرب ، فقد قام بإعداد المعلومات للحكومة التي نشرها البيت الأبيض و وزارة الدفاع بعدما ألقيت القنبلة على هيروشيما.[٢]

هذه خلفية وقائعية مختصرة عن العلاقة التاريخية بين الحكومة الأمريكية ووسائل الإعلام ، وهي علاقة توضح ارتباط المؤسسات والمضامين الإعلامية بالمؤسسة السياسية الرسمية في الولايات المتحدة ، وبخاصة في قضايا الشؤون

(١)Ibid P.211

(٢)Ibid P.211

الخارجية . وليس المجال هنا للحديث عن التطور التاريخي لهذه العلاقة وإنما هي مقدمة ندلف من خلالها إلي الحديث عن التعاون والتنسيق المشترك بين الحكومة ووسائل الإعلام في الولايات المتحدة في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتداعياتها ، وبخاصة ما يتعلق بموضوع هذه الدراسة وهو حرب الولايات المتحدة على العراق واحتلاله. لقد ثبت ما قاله فينكلستين جلياً في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م . فقد دعا الرئيس بوش إلى حرب واسعة للقضاء على الإرهاب ،ووصف الذين قضوا في هجمات الحادي عشر من سبتمبر بأنهم "أبرياء" وأن الذين قاموا بقتلهم "إرهابيون". هنا وقفت وسائل الإعلام الأمريكية تدعم هذا الموقف الرسمي . فقد قام رئيس CNN وقتها ولتر ازاكسون Walter Isaacson في أكتوبر ٢٠٠١م بتعميم مذكرة على موظفيه يأمرهم عند عرض صور الدمار الذي يلحق بالمدنيين في أفغانستان (نتيجة للقصف الأمريكي) أن يتم تذكير المشاهدين دائماً بالأمريكيين الذين لقوا حتفهم في مركز التجارة العالمي و البنتاجون، اقترح رئيس CNN على معدّي و مقدمي النشرات الإخبارية و التقارير التركيز على العبارة التالية :"شدّدت وزارة الدفاع الأمريكية مراراً أنها تحاول تقليل الإصابات وسط المدنيين في أفغانستان، رغم أن نظام طالبان مستمر في إيواء الإرهابيين المرتبطين بهجمات الحادي عشر من سبتمبر التي أودت بحياة آلاف الأبرياء في الولايات المتحدة ".[١]

و لم يختلف هذا النهج أثناء الحرب على العراق . فرغم قيام بعض العاملين في وسائل الإعلام الأمريكية بانتقاد سياسة الرئيس بوش الابن إزاء حجب المعلومة

(١)Reporting War: Journalism in Wartime. Ibid P. 51

عن الإعلام والرأي العام أثناء و بعد الحرب ، لاسيما فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل وأن العراق يمثل تهديداً وشيكاً للأمن القومي الأمريكي ، إلا أن العديد من المؤسسات الإعلامية الأمريكية ظلت تسير على النهج الذي اختطته الإدارة الأمريكية . واستمرت المؤسسات الإعلامية الأمريكية تردد تصريحات المسؤولين الأمريكيين قبل شن الحرب و بعدها و ما نتج عنها من تداعيات . بل إن وسائل الإعلام ، بتضامنها مع الإدارة الأمريكية في حجب و إخفاء المعلومة ، ساعدت في تضخيم الكثير من المعلومات و الملفات المتعلقة بالحرب . و هي بهذا فاقمت من الخوف لدى الرأي العام الأمريكي وربما العالمي عندما ركّزت – على وجه الخصوص – على ما ردده الرئيس بوش عندما ذكر أن الأمريكيين معرضون للهجوم بأسلحة الدمار الشامل التي وقعت في أيدي الإرهابيين .[1]

استمرت هذه السياسة المشتركة بين الحكومة ووسائل الإعلام و كان التخطيط لحجب المعلومة واضحاً و جلياً من خلال الاتفاق الذي تم بين وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" و المؤسسات الإعلامية الأمريكية الذي نتج عنه إلحاق الإعلاميين بالوحدات العسكرية الأمريكية أثناء الحرب . هذه السياسة ضمنت للقيادات السياسية و العسكرية الأمريكية السيطرة على وسائل الإعلام ، و في نفس الوقت وفّرت أرضية مشتركة للجانبين لممارسة تعتيم إعلامي كبير على الأخبار و التقارير و سير الأحداث في مناطق العمليات .

استمر التوافق في هذه السياسة في المرحلة التي أعقبت الحرب ، أي مرحلة احتلال العراق، و في العديد من الأحداث مثل إحصائيات الضحايا من المدنيين

(١)Ibid P.52

العراقيين و القتلى من الجنود الأمريكيين ، ثم في حالات التعذيب في سجن أبو غريب ، و استخدام الأسلحة المحرّمة دولياً ضد المدنيين العراقيين ، و على وجه الخصوص ضد أهالي الفلوجة. و ما تزال وسائل الإعلام الأمريكية تنشر و تذيع تقارير تطلق عليها عبارة "غير مؤكدة" و هذه التقارير ، التي تتناول أحداثاً في العراق تصل لوسائل الإعلام من الجيش الأمريكي .

وتلجأ واشنطن و وسائل الإعلام المرتبطة بالإدارة الأمريكية إلى إخفاء الحقائق و استخدام عبارات مضللة ، مثل القضاء على الإرهابيين ، و حماية الانتخابات، و التحول الديمقراطي ، و حقوق الإنسان ، و حماية البنية الأساسية للعراق ، و غيرها ، لإخفاء الوقائع التي تحدث في العراق وتمثل خرقاً للشرعية الدولية وتحقق الأهداف الإستراتيجية للولايات المتحدة . و قد ساهمت السياسة المشتركة بين القيادات السياسية و العسكرية من جهة و وسائل الإعلام من جهة أخرى في إقناع غالبية شرائح الرأي العام الأمريكي بأن الإبادة التي تمارس في العراق بحق المدنيين من الأطفال و النساء و الشيوخ هي عمليات تتم من أجل الشعب الأمريكي و من أجل أمنه و رفاهيته حتى لا تقوم المجموعات الإرهابية بشن هجمات على الولايات المتحدة كما حدث في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م .

سياسة حجب المعلومة من قبل وسائل الاعلام الأمريكية لم تكن سياسة جديدة مرتبطة بالحرب على العراق ، لكنها كانت واضحة جلية في هذه الحرب ، وهو الأمر الذي كان له أثر كبير على الرأي العام الأمريكي ، وبخاصة أن قضايا حرية الرأي والتعبير على مستوى العالم تروّج للحياة الأمريكية بوصفها تتمثل في حرية الاختيار في بيئة من التنوع الثقافي و الإعلامي ، و أنها تغلغلت في أعماق

أغلبية كبيرة من الأمريكيين وهو ما يجعلهم سريعي التأثر بالتضليل الإعلامي الشامل.[١]

لكن تأثر الرأي العام بالتضليل الإعلامي لن يدوم تحت ذريعة حماية الأمن القومي . فاستمرار حجب المعلومة يجعل الرأي العام مستقبلاً يفيق و يبدأ بالبحث عن الحقيقة والوسيلة التي تنقلها ، وهو ما أشار إليه الصحفي و الكاتب البريطاني المعروف روبرت فيسك Robert Fisk بقوله إنه : " عندما تكون هناك حكومات كثيرة تمارس الكذب، فأعتقد أن الناس يحتاجون إلى صحفيين يقولون الحقيقة كما يرونها."[٢] لكن و في كل الأحوال فإنه ينبغي أن تكون مهمة الوسيلة الإعلامية البحث عن الحقيقة و قولها . و هذا ما أشار إليه جريج دايك Greg Dyke مدير عام قناة بي بي سي أثناء حرب العراق عندما قال: "أن تقول للناس ما يريدون سماعه فلن تكون قدمت لهم خدمة. و ربما لا يكون الوضع مريحاً القيام بتحدي الحكومات أو حتى الرأي العام ، لكن هذا هو الذي علينا القيام به.[٣]

و قد تكون كاتي آدي Katie Adie المراسلة الحربية لهيئة الإذاعة البريطانية BBC تعبّر عن جزء من الحقيقة عندما تحدثت عن المأزق الذي يجد الصحفي فيه نفسه في حالة صراع بين الإخلاص لوطنه و نقل الحقيقة ، لا سيما عندما يكون وطنه في حالة حرب . تقول هذه المراسلة الحربية إن مبادئ العمل الصحفي – كما

---

(١) شيللر ، هربرت .المتلاعبون بالعقول: أساطير الإعلام الأمريكي- عرض على أحمد الديري http://alminber.org/translationdetails.php?id=9 .

(٢)Reflecting on War. Interview with Robert Fisk, 18 December 2005 http://www.itp.net/business/features/details.php?id=3555&tbl=itp_features

(٣)Reporting War: Journalism in Wartime. Ibid P. 10

قالت – تتعرض لاختبار حقيقي عندما يكون وطن الإعلامي في حالة حرب ، فهل يكون الإعلامي مع الحقيقة المجردة أم مع آلة الحرب و الفزع و الدمار الذي يلحق بالناس نتيجة لهذه الحرب ، أم مع قرارات النواب المنتخبين ديمقراطياً أم مع الرجال و النساء من الشباب الذين وافقوا على تعريض أنفسهم للخطر في الصفوف الأمامية للحرب؟ و أضافت كاتي أن طبيعة الحرب نفسها تشوش الدور الذي يجب أن يقوم به الصحفي .[1]

عملية التضليل وإخفاء المعلومة في الحرب على العراق ظهرت واضحة في استخدام وسائل الإعلام الغربية على وجه العموم والأمريكية على وجه الخصوص لمصطلح "قوات التحالف" Coalition Forces ، في الإشارة إلى القوات الأمريكية و البريطانية التي خاضت حرب احتلال العراق . و قد تردد هذا المصطلح و استخدم بكثرة حتى جعلت القارئ أو المستمع أو المشاهد يقبله على أنه حقيقة واقعة رغم أنه يحمل الكثير من الخداع و مواراة الحقيقة . بل إن الاستخدام المكثّف لهذا المصطلح غيّب عن الكثيرين عدم شرعية هذه الحرب ، وأنها لم تكن بتفويض من الأمم المتحدة و ليس لها سند دولي .

وقد أدّى التضليل الواسع الذي مارسته وسائل الإعلام الأمريكية بخصوص ملف العراق لأسلحة الدمار الشامل – و هو أحد الأسباب القوية التي ساقتها إدارة الرئيس بوش لضرب العراق – إلى وقوع وسائل الإعلام هذه في حرج شديد مع الرأي العام بعد اكتشاف كذب هذا الإدعاء ، و هو ما جعل صحيفة نيويورك تايمز تضطر للاعتذار لقرائها عن التضليل في صفحاتها بسبب ما نشر من مقالات

---

(١)Ibid P. 3

حول امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل ، وهي مقالات كتبتها الصحفية جوديث ميللر بصورة خاصة.(١)

و قد دأبت وسائل الإعلام الأمريكية على تجاهل المآسي الكثيرة التي سببتها الحرب الأمريكية لاحتلال العراق . و لذا خلت وسائل الإعلام الأمريكية الرئيسية مثل صحف نيويورك تايمز و واشنطن بوست و مجلتي تايم و نيوزويك إضافة إلى شبكات التلفزة مثل (سي إن إن) و (فوكس نيوز) و (سي بي إس) من أي تفاصيل للدمار الذي لحق بالعراق و أهله جرّاء الآلة العسكرية الأمريكية .

وقد تساءل المؤلف والناقد الإعلامي نورمان سولومونNorman Solomon حسب ما أورده موقع Lexis Nexis لقاعدة المعلومات الإعلامية ، عن عدد المرات التي ظهرت فيها عبارة "الحرب الجوية" في صحيفة نيويورك تايمز عام ٢٠٠٥م في إشارة إلى العمليات العسكرية الحالية في العراق . و كانت النتيجة أنه حتى بداية ديسمبر ٢٠٠٥م فإن الإجابة كانت تساوي صفراً . و مضى نورمان للقول إن عبارة "الحرب الجوية" لم تذكر أيضاً و لا مرة واحدة في صحيفة واشنطن بوست أو مجلة تايم في عام ٢٠٠٥م.(٢)

حدث هذا التجاهل من وسائل الإعلام الأمريكية رغم أن القوات الجوية في القيادة المركزية الأمريكية ظلت تصدر تقارير مفصلة حول الغارات الجوية الأمريكية في العراق . فقد اعترفت هذه القيادة في يوم ٦ ديسمبر ٢٠٠٥م ، أنه في

---

(١) انظر راغدة ضرغام – مسألة بالغة الأهمية في أمريكا .. نزع الحصانة عن الصحافي و مصادره
http://www.al-vefagh.com/1384/840503/html/ara.htm#s41802

(٢) Jamail, Dahr. Ignoring the Air War
http://www.alternet.org/waroniraq/29545/

اليوم الذي قبله قامت طائراتها بإجراء ٤٦ مهمة جوية في العراق من أجل "توفير الدعم لقوات التحالف و حماية البنية الأساسية و تعزيز الأنشطة و العمليات لردع النشاطات الإرهابية.[١]

هذا التجاهل من قبل وسائل الإعلام الأمريكية ، و الذي يعدّ نوعاً من حجب المعلومة عن المتلقي ، كان واضحاً في تغطية العمليات العسكرية الأمريكية و استهداف المدنيين و البنية التحتية منذ بدأت الحرب مروراً بمختلف مراحلها بما فيها العمليات العسكرية التي تحدث الآن في مناطق العراق المختلفة . هذه العمليات لم تحظ بتغطية تذكر من قبل وسائل الإعلام الأمريكية . و في استعراض على شبكة الإنترنت لصحف نيويورك تايمز و واشنطن بوست و مجلتي تايم و نيوزويك و محطتي سي إن إن و فوكس نيوز ، لم يجد الباحث أي اهتمام من وسائل الإعلام الأمريكية بموضوع استخدام الأسلحة الكيميائية و خاصة مادة الفسفور الأبيض من قبل القوات الأمريكية ضد المدنيين في الفلوجة . لقد تم حجب هذا الملف عن المتلقي الأمريكي رغم أن هذا الموضوع قد عرض بإسهاب مدعّماً بالصور في العديد من وسائل الإعلام العالمية .

و من الأمثلة الأخرى التي عمدت فيها وسائل الإعلام الأمريكية إلى حجب المعلومة قضية تعذيب السجناء العراقيين في سجن أبو غريب في بغداد . فبالرغم من أن وسائل الإعلام الأمريكية (محطة سي بي إس و صحيفة نيويوركر على وجه التحديد) كانت من أوائل من أشار إلى الانتهاكات التي حدثت في هذا السجن من قبل قوات الاحتلال الأمريكية ، إلا أن التغطيات لهذا الحدث في وسائل الإعلام الأمريكية بصورة عامة قد شابها الكثير من التضليل المتعمد . ولو افترضنا أن مثل

---

(١)Ibid

هذه الأعمال المنافية للقانون الدولي ارتكبت من قبل عسكريين لدولة أخرى في مكان ما من العالم فماذا يمكن أن تفعل وسائل الإعلام الأمريكية ؟ بالتأكيد ستظل تتناول الموضوع بصورة مكثفة مدعومة بوسائل الإبراز الإعلامي للتأكيد على أن ذلك يعدّ انتهاكاً لحقوق الإنسان و القانون الدولي ، و ستستمر في تأليب المسؤولين الأمريكيين و الرأي العام الأمريكي والعالمي للدولة المارقة حتى يتم إحالة الملف لمجلس الأمن .

إن الصور التي عرضتها وسائل الإعلام الأمريكية عن انتهاكات سجن أبوغريب كانت أقل تأثيراً مما كان يحدث على أرض الواقع بسبب سياسة الحجب و التضليل التي اتبعتها وسائل الإعلام الأمريكية . لقد قال مارتي ميهان Marty Meehan و هو عضو في لجنة الخدمات العسكرية بمجلس النواب الأمريكي إنه شعر بالذعر عندما شاهد صور سجن أبوغريب التي وزعتها وزارة الدفاع الأمريكية و أن هذه الصور كانت أكثر بشاعة من الصور التي عرضتها وسائل الإعلام .[١]

أما أحداث قصف الفلوجة التي جرت عام ٢٠٠٤م ، فقد شابها هي الأخرى الكثير من حجب المعلومة و التضليل المتعمد منذ بدايتها . فلم تذكر أي وسيلة من وسائل الإعلام أن المقاومة المسلحة في الفلوجة قد اندلعت بعد أن فتحت القوات الأمريكية النار على حشد من أهالي المدينة و قتلت منهم سبعة عشر مدنياً وجرحت حوالي سبعين منهم.[٢] أما قصف القوات الأمريكية لمستشفى الفلوجه فقد ساقت وزارة الدفاع الأمريكية مبررات كاذبة نقلتها صحيفة نيويورك تايمز في عددها الصادر بتاريخ ٨ نوفمبر ٢٠٠٤م بقولها إن المستشفى "يعدّ بمثابة ملاذ

(١)Zen, Toro. Triumph of the Beast
http://www.dahrjamailiraq.com/covering_iraq/archives//000328.php#more
(٢)Liberating Fallujah
http://www.dahrjamailiraq.com/covering_iraq/archives//000118.php#more

للمتمردين و مركز دعاية ضد قوات التحالف".[1] و لم تذكر الصحيفة حجم الإصابات التي طالت المرضى و الأطباء في هذا المستشفى ، و قد عمدت السلطات العراقية بإيعاز من قوات الاحتلال حجبها عن العالم . فبعد أن بدأ بعض الأطباء الإدلاء ببعض المعلومات عند بداية حصار المستشفى جاءتهم تعليمات من وزير الصحة العراقي يهدد فيها كل من يفصح عن معلومات عن ضحايا القصف بأن مصيره سيكون الاعتقال و الطرد من وظيفته.[2]

* * *

(١)Ibid

(٢)Ibid

خاتمة :

تناولت هذه الدراسة الوصفية جدلية العلاقة بين الحكومة ووسائل الإعلام في الولايات المتحدة في بعدها الخارجي ، الذي تمثل في الكيفية التي تعاملت بها وسائل الإعلام الأمريكية مع قضايا السياسة الخارجية الأمريكية ممثلة في قضية احتلال العراق بوصفها أهم حدث أفرزته تداعيات الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة . وتركزت محاور الدراسة الأربعة في كشف طبيعة العلاقة وقت الأزمات والحروب ، وأبانت الشواهد النظرية والميدانية أن جدلية العلاقة بين وسائل الإعلام و السياسة الخارجية الأمريكية تتميز بالتكامل في كثير من حالاتها ، وذلك يكون على حساب المسلمات الأكاديمية والمهنية التي تقول بصحة فرضية استقلالية وسائل الإعلام عن الحكومة الأمريكية ، وحيادية هذه والوسائل وموضوعيتها في أوقات السلم كما في أوقات الحرب .

وقد تتبعت الدراسة دلائل نقض الفرضية على ثلاثة مستويات تتعلق بتعامل الحكومة ووسائل الإعلام الأمريكية مع القضية العراقية . المستوى الأول التوافق بين الحكومة ووسائل الإعلام الأمريكية في مفاهيم الحجب الإعلامي ، والمستوى الثاني فصل في الحديث عن حجب المعلومة عن المستوى الحكومي ، المستوى الثالث أبان شواهد الحجب المعلوماتي عن المستوى الإعلامي .

لقد كشفت الدراسة عن محصلة الجدل الذي يثيره الأكاديميون والمهنيون في أروقة الجامعات ومراكز البحث العلمي والمؤسسات الإعلامية حول مدى استقلالية الإعلام الأمريكي عن السلطة ، وحق الإعلامي في نشر الحقيقة ، وحرية الإعلام في أن يكون رقيباً على أداء الحكومة ، وانتهت إلى أن هذا الجدل يحسمه الواقع الميداني أكثر مما يكتب عنه في الدراسات العلمية المتخصصة ، وأن

هذا الجدل لا يعدو أن يكون تراكماً علمياً في موضوع جدلية العلاقة بين الحكومة ووسائل الإعلام وليس له وجود علمي أو مهني إذا كانت القضية التي يتعامل معها تتعلق بكليات السياسة الخارجية الأمريكية أو تحقيق المصلحة الأمريكية ، ولو أدى ذلك إلى تضليل الرأي العام داخل الولايات المتحدة نفسها فضلاً عن الرأي العام خارجها .

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

أولاً : المراجع العربية :

- **الحيزان، محمد بن عبدالعزيز**. البحوث الإعلامية، بدون ناشر، ط٢ ، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
- **السيد أحمد مصطفى عمر**. البحث الإعلامي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط١ ، ١٩٩٤م.
- **النيرب، باسل يوسف**. قتل الشهود: الاغتيالات الأمريكية للصورة الإعلامية العربية، غيناء للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- **حسن مكي وبركات عبدالعزيز**. المدخل إلى علم الاتصال. ذات السلاسل، الكويت، ط١ ، ١٩٩٥.
- **حسين مكاوي وليلى السيد**. الاتصال و نظرياته المعاصرة. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، بدون تاريخ طبع.
- **شميط، وليد**. إمبراطورية "المحافظين الجدد": التضليل الإعلامي و حرب العراق، دار الساقي –، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
- **كريم، بدر أحمد**. عصر العاجزين عن الكلام: رؤى إعلامية، مطبعة السفير، الرياض، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
- http://alminber.org/translationdetails.php?id=9
- http://www.al-vefagh.com/1384/840503/html/ara.htm#s41802

ثانياً : المراجع الأجنبية :

-Allan, Stuart& Zelizer, Barbie (2004). Reporting War: Journalism in Wartime. Routledge, New York.

-Fishman, M. (1982). News and Non-events: Making the Visible Invisible. In: J.S. Etteman and D.C. Whitney. Individuals in Mass Media Organizations. Beverly Hills, Sage Publications.

-Garber, Doris (1993). Mass Media and American Politics. Congressional Quarterly, Inc. Washingtom, DC.

-Kennedy, William V.(1993). The Military and The Media: Why the Press Cannot Be Trusted to Cover a Wa? Praeger Publishers, Westport, CT.
-Payne, Kenneth.(2005). The Media as an Instrument of War. Parameters. Volume: 35. Issue: 1.
-Smith, Jeffery A.(1999). War & Press Freedom: The Problem of Prerogative Powe. Oxford University Press.
-Smith, Perry M.(1991) How CNN Fought The War: A View From The Inside, Carol Publishing Group, New York.
-Strauss, Anselm and Corbin, Juliet. (1990). Basics of Qualitative Research. Newbury Park, CA:Sage.
-Thussu, Daya Kishan & Freedman, Des (2003). War and the Media, Sage Publications, New York.
-Tumber, Howard & Palmer, Jerry(2004). Media At War: The Iraq Crisis, Sage Publications, New York.
-http://www.ruf.rice.edu/~mgpowell/history.html
-http://www.freedominfo.org/survey/rtk.htm
-http://www.ratical.org/ratville/CAH/secrecySP.html
-www.countercurrents.org/iraq-kelly151105.htm
-http://www.itp.net/business/features/details.php?id=3555&tbl=itp_features
-http://www.alternet.org/waroniraq/29545/
-http://
www.dahrjamailiraq.com/covering_iraq/archives//000328.php#more
-http://
www.dahrjamailiraq.com/covering_iraq/archives//000118.php#more